وكتب فرنسيس نيوتن في كتابه «الانتداب على فلسطين»: «لم يوجد في فلسطين نقش واحد يمكن ان ينسب الى المملكة العبرية... لقد فشلت اليهودية في ان تقدّم أيّ أثر لداود وسليمان، أو أي نقش أو حجر أو حتى أي نصب تذكاري. ولهذا، فان قضيتهم تفتقر الى دليل مادّي مسجل على غرار الأمثلة التي توجد لحياة شعوب غرب آسيا. ولم يذكر الاغريق اليهود في التاريخ المبكّر. وممّا لا شك فيه ان هذا الشعب (الاغريق) كان يتصل باليهود لو كانت فلسطين حقاً وطنهم القومي. ولم يعرف هوميروس المقدّس شيئاً عنهم»(٦٣). ولي على هذا الشاهد ملاحظة تفسيرية، هي انه ما دام الطابع العام لهذه المملكة تجارياً تبعياً، فالأمر الطبيعي ألاّ يوجد أي نقش أو أثر؛ بمعنى انه لم يكن هناك متسع لاقامة تراث حضاري مادّي يمكن ان يعوّل عليه، وانما كان النشاط التجاري لهذه المملكة نشاطاً ذيلياً. ولم يكن رأس المال التجاري الذي هبط عرضاً عليها رأسمالاً منتجاً، صناعة أو زراعة، بل كان نتيجة علاقات الوساطة ومرور البضائع عبر أراضيها.

وعن هذه الدولة، كتبت دائرة المعارف اليهودية: «ان المنطقة بكاملها ـ كما عرضت آنفاً ـ لم يحتل الاسرائيليون كل أجزائها، لأن السهل الساحلي في الجنوب كان يملكه الفلسطينيون، وكان السهل الشمالي يملكه الفينيقيون، بينما لم تعد الممتلكات الاسرائيلية في شرق الاردن بعيداً من الأرنون (وادي المجيب)، وفي الشمال، لم يستوطن الاسرائيليون أبداً في الاجزاء الشمالية القاصية، والشرقية من سهل الباشان (حوران). ولذلك، فان فلسطين، وخصوصاً الدولة الاسرائيلية، ضمّت مساحة صغيرة جداً، هي، على وجه التقريب، مساحة ولاية فيرمونت»(٦٤).

واذا ما أردنا هذه الحدود بلغة الارقام، قال لنا بيللوك: «مئة وعشرون ميلاً في أطول أطوالها، وستون ميلاً في أعرض عرضها، وأقلّ من ذلك بكثير في أغلب الاحيان. كان شيئاً أشبه بالملك النمسوي المجري الذي يتربع على عرش امبراطورية النمسا والمجر في حين تحارب النمسا والمجر احداهما الأخرى»(٦٥).

ونحن نذكّر، هنا، بملاحظة ولز التي مرّت معنا، حين وصف المملكة بأنها متجاذبة بين مصر وفينيقيا. وفترة مملكة داود وسليمان هي الفترة «المضيئة الوحيدة» في «التاريخ اليهودي» كله: «والمرء اذا ما صدف عنهما لم يبصر غير هوّة مظلمة دامية تزلق فيها هاوية ـ بما يثير الحزن ـ تلك المملكة الصغيرة التي منّ عليها داود وابنه بعظمة مدّة سنوات قليلة»(٦٦).

كما ان «امتلاك اليهود» العرضي أرض فلسطين لم يكن، يوماً من الايام، كاملاً: «ان امتلاك اليهود لفلسطين، بكل معنى حقيقي من معاني كلمة الامتلاك، لم يكن، في يوم من الايام، كاملاً، وانه انما ظلّ في رقعة داخل حدودها طوال مدّة السبعين عاماً. ولقد عمّر بما لا يزيد على عمر الرجل. وكان هذا قبل ثلاثة آلاف عام. أمّا في عهد المكابيين، فكان هذا أقصر عمراً... كان لما يقرب من خمسين عاماً على أكثر تقدير...»(٦٧).

وأكد ولز هذه الحقيقة في ما كتب: «ولا يستطيع احد ان يقول ان 'أرض الميعاد' وقعت، يوماً، في قبضة العبرانيين تماماً»(٦٨). تلك هي الحقبة التي يدّعي «الاسرائيليون» بموجبها ان لهم حقاً تاريخياً، فضلاً عن الوعد «الآلهي» لهم في فلسطين. هذا الوعد الذي يبدو ان الذهن «الاسرائيلي» لم يفسّره بـ «حقيقته التوراتية»؛ فكيف أُعطي الوعد بـ «أرض كنعان» كلها ولم ينفّذ في أوج عزّ دولة داود «رجل الله»، وسليمان «الحكيم» من بعده؟

ان هالسل كتبت في ما نقلته عن ولز بشأن «الحقوق التاريخية» المزعومة كلاماً يجدر ان